هي إلاّ َ من ولائد عُرْف أ َخرق[1008]، اختلقه العرب منذ قديم، وما زالوا حتّى يومهم ذاك برثيثه[1009] مستمسكين. وما كان ابتداعهم إيّاه إلاّ َ ابتغاء التعزّي[1010]، أو الاعتزاء[1011]، التعزّي لمن حرم الولد، والاعتزاء لمن أراد دعم العصبية بالاستكثار ـ عن طريق التبنّي ـ من أدعياء حوله، ما هو له بوالد، وما هم له بأبناء. فهل يخلق التبنّي بنوّة ً؟ وهل كان محمد حقّا ً أبا زيد أو غيره من رجال مجتمع ذلك الحين؟ ولم يشفع لزيد أيضا ً أن كان الرسول يسعى بينه وبين الزوجة الكارهة بالإصلاح، عسى أن تغالب ازورارها[1012]، وتخفّف من غلواء[1013] زهوها الجموح، غير أنّ سعيه الكريم كان ينزل على قلبها نزول الوابل الثرّ[1014] على صخر، إن يكن يقع عليه الماء فإنّه يدفعه ولا يبلعه، ثم يظلّ بعد هذا صلدا ً جامدا ً، لا يخرج شطئا ً، ولا يطلع نبتا ً، ولا يخضرّ أو يلين. فسبحان ا! سبحان من إذا شاء ألان الصخر الجلمود ... وإذا شاء حجّر القلب، وإنّه للحم طريّ غريض[1015] فإذا هو أعتى قسوة ً من الحجارة، وأشدّ صلابة ً من الحديد! * * *